
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

ندوات ومؤتمرات

منظور الفكر الإسلامي في تحليل العلاقات الدولية(*)

إعداد: أ. هبة رؤوف عزت(**)

شهدت القاهرة ندوة هامة على مدار ثلاثة أيام ناقشت أبحاث ونتائج مشروع بحثي دام ١٠ سنوات كاملة وشارك فيه ٢٨ باحثًا وأستاذًا حول «العلاقات الدولية في الإسلام» وصدر هذا الجهد الضخم منذ أشهر في ١٢ مجلدًا يرصد العلاقات الدولية في المنظور الإسلامي على مستويات ثلاث : الأصول، والتاريخ، والفكر، وقدم له بمقدمة منهجية في أول مجلد، وكذا بجزء عن المدخل القيمي لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام، ومازال هناك تكملة لجزء الفكر قيد البحث يتم الانتهاء منها قريبًا.

وكان البحث قد رعاه عبر هذه السنوات المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، وأشرفت عليه د. نادية مصطفى أستاذة العلاقات الدولية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة.

في القاهرة تعاون مركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة مع جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بفرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وعقدا ندوة على مدى ثلاثة أيام حضرها أساتذة من مصر ولبنان والولايات المتحدة الأمريكية من مجالات تخصصية شتى أبرزها العلوم السياسية والفقه والتاريخ والشريعة ، وناقشوا بشكل نقدي ملخصات عرضها الباحثون لمجلدات المشروع المتنوعة، كما أقيمت في كل يوم محاضرة مسائية حول أحد القضايا المرتبطة بالموضوع ألقاها أساتذة زائرون.

(*) ندوة أقيمت بالقاهرة من ٣٠ / ١١ - ١، ٢/ ١٢/ ١٩٩٧م.

(**) المدرس المساعد بكلية الاقتصاد ـ جامعة القاهرة.

الإسلام والواقع الدولي:

أكدت أ.د. نازلى معوض رئيس مركز البحوث السياسية بجامعة القاهرة في الجلسة الافتتاحية أن أهمية هذا المؤتمر نابعة من حجم وثقل العمل البحثي الممتد الذي تناقشه الجلسات المختلفة، وهو أيضًا يأتي في لحظة تاريخية هامة يتساءل فيها المسلمون حول اسهاماتهم في نهضة وتطور العلوم تاريخيًّا وفي الواقع الحالي، كما يواجه الإسلام تحديات دولية في مرحلة ما بعد القطبية تستلزم يقظة فكرية وعلمية تدرك الذات وجذورها ومسيرتها، وآفاق مستقبلها كذلك.

أكد أ.د. علي الدين هلال عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة على أهمية تقديم منظور إسلامي في مجال العلوم السياسية يتواصل ويضيف إلى التيار العام للعلم ولا ينعزل ليتحول إلى أيديولوجية مكتفية بذاتها فيخرج عن وظيفته ودوره.

وفي كلمته أشاد أ.د. طه جابر علواني مدير جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية في فرجينيا لأهمية بناء نظرية إسلامية للمعرفة تنبثق عنها علوم مختلفة يسهم بها المسلمون في التيار العام الصاعد من جهود مراجعة النظرية الوضعية والذي يشهد تناميًّا في العالم أجمع، كما نوه بالجهد الذي بذله الباحثون عبر السنوات الطوال بدأب وصبر وروح جماعية يفتقدها العمل البحثي في العالم العربي والإسلامي، وأن هذه المشروعات البحثية التي تجمع أهل التخصصات المختلفة داخل العلوم الاجتماعية والإنسانية ثم تربطهم بالعلوم الشرعية، هي التي تحدث نقلة نوعية في تطور المناهج بل تطور العلوم ذاتها ومجالات بحثها وموضوعاتها.

المداخل المنهاجية والإشكاليات :

في الجلسة الأولى قدمت د. نادية مصطفى المنسق العام للمشروع ورقة حول الإطار العام للمشروع وموضوع الندوة، وأكدت أن دراسة العلاقات الدولية في الأكاديمية الغربية اهتمت بفلسفة هذه العلاقات، والأفكار السياسية الكبرى في الحضارة الغربية وأنساقها القيمية، وأن هذه هي البنية التحتية للعلم التي قامت عليها مناهجه وأدواته، وأنه دون إنكار لإسهام هذه الجهود عبر ما يقرب من قرن في بلورة علم علاقات دولية مستقل عن التاريخ والفلسفة والقانون، وهي العلوم التي

ولدت من أرحامها دراسة ظاهرة العلاقات الدولية، وكذا دون إنكار أو تجاهل لما يسمى التحليل الإمبريقي للعلاقات الدولية في شكلها المعاصر وجهد الدراسات الغربية في هذا المجال، فإنه يظل مطلوبًا وبإلحاح تقديم رؤية نظرية فلسفية كلية ودراسات تاريخية وبحوث معاصرة تدمج الإطار المرجعي القيمي الإسلامي في منظور العلاقات الدولية، وتعيد لبحث التاريخ الإسلامي المساحة التي يستحقها في المجال التدريسي وعلى الأجندة البحثية، وتساهم في الجدل الدائر في حقل العلاقات الدولية بجدية ورصانة وتضيف إليه وتثريه. كذلك عرضت الجهد البحثي الذي تم في خطوطه العامة، وأشارت لأهمية التمييز بين التنظير الفقهي والقانوني، والتنظير السياسي، واستكشاف نمط التطور في ممارسة وتنظير العلاقات مع الآخر (دار الإسلام/دار الحرب) والعلاقات بين أجزاء دار الإسلام المختلفة حين انقسمت لدول وممالك، ومحاولة اكتشاف درجة ابتعاد أو اقتراب الأنماط السلوكية للدولة الإسلامية في أسس وقواعد العدل من ناحية، والخصائص المجتمعية السائدة من ناحية أخرى، والنظام الدولي وتطوره من ناحية ثالثة، وتطرقت للأسئلة والإشكاليات التي حاول المشروع الإجابة عليها.

وفي ورقتها أكدت د. ودودة بدران أستاذة العلاقات الدولية على أن دراسة العلاقات الدولية من منظور إسلامي تسهم في التطور الفكري لعلم العلاقات الدولية، ونظرًا لأن هذا العلم تطور أساسًا في الغرب فإن تحديد موضع المشروع وأبحاثه المختلفة في إطار الأدبيات والعلم الغربي توضح قيمة هذا الجهد، وركزت في ورقتها على خمس نقاط أساسية هي: وضع بحث العلاقات الدولية في الإسلام في إطار العلاقات الدولية كعلم، ثم في إطار العلاقات الدولية في الفكر الغربي والتعريف المستخدم في المشروع، ثم تحديد المفاهيم المحورية في دراسة الأدبيات الغربية للعلاقات الدولية كتوطئة للبحث في مدى وجود مفاهيم مشتركة بين المجالين ومدى الاختلاف في تعريفهما، والمفاهيم التي قد توجد في مجال دون الآخر، وأخيرًا تحديد الظواهر المعاصرة محور اهتمام الأدبيات الغربية في السبعينيات والثمانينيات حتى يمكن بيان كيفية

معالجة الفكر الإسلامي المعاصر لهذه الظواهر أو غيرها، مع البحث في طبيعة القضايا التي ثارت في المراحل السابقة لتطور هذا الفكر.

القيم كإطار مرجعي:

في الجلسة الثانية قدم د. سيف الدين عبد الفتاح أستاذ النظرية السياسية الإسلامية ورقة حول مدخل القيم كإطار مرجعي لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام، حيث ناقش عملية تأصيل القيم ومفرداتها وعناصرها، ثم المرحلة التالية في المشروع وهي تفعيل هذه القيم من خلال القراءة الجامعة لأصول الفقه الحضاري وضوابط الفهم والتنزيل، وأخيرًا نماذج التشغيل في العلاقة بين الدعوة والاتصال وتصنيف العالم وبناء الرؤية الجهادية وتقديم البناء المفاهيمي، ثم استثمار قواعد تحليل النصوص كأداة منهاجية في هذا السياق. وأكد د. سيف على أهمية دراسة النماذج التاريخية ودراسة التاريخ السياسي للعلاقات الدولية، وكذا النماذج المعاصرة في تقويم عوالم الأحداث والأفكار المتعلقة به ضمن سياقات متعددة، وأيضًا الاهتمام بالدراسات المستقبلية وأصول التفكير السنني، مؤكدًا أن كل هذه النماذج يحتاجها الباحث لتتكامل أمامه وتتداخل وتوظف لتكون مقدمة لدراسة واقتراح أجندة بحثية ممتدة تحاول أن تجعل المشروع رغم حجمه مجرد حلقة بحثية أو لابد أن تستدعي حلقات أخرى لتفعيله نحو فهم أدق وأشمل وأكثر تركيبًا وأثرى مساهمة من باحثين آخرين للعلاقات الدولية.

الأساس الشرعي والمباديء الحاكمة:

في الجلسة الثالثة كان هذا هو عنوان ورقة د. عبد الونيس شتا الذي تساءل فيها عن حقيقة الأحكام التي حوتها الأصول الشرعية الإسلامية بشأن الأساس الذي يعد منطلقًا لعلاقات الدول الإسلامية مع غيرها من الدول والكيانات الدولية، وما هي المباديء التي تمثل إطارًا عامًا يحكم هذه العلاقات ويقوم مسارها، وحاولت ورقته أن تقدم إجابة على هذه الأسئلة واعتمدت في ذلك على منهاجية للنظر في الأصول الإسلامية من خلال تفاسير القرآن وشروح السنة مع الاستئناس بما تضمنته كتابات الفقهاء وعلماء السير والتاريخ وكبار المفكرين من مذاهب وآراء حول أصل العلاقة، هل هو السلم أم العداء أم حياد وعزلة؟ وقد ذهب إلى أن أصل

الدعوة هو أساس العلاقة وأن أدوات الدعوة تختلف باختلاف البيئة الدولية وموقف الفواعل والأطراف الأخرى من الكيان الإسلامي، مع بقاء مباديء حاكمة ثابتة كوحدة الإنسانية والمساواة والعدل وكفالة الحريات والوفاء بالعهد.

وفي الجلسة الرابعة قدم د. مصطفى منجود أستاذ الفكر السياسي الإسلامي ورقة حول المداخل المنهاجية لدراسة أصول العلاقات الدولية في القرآن والسنة والفقه والتاريخ في عصر النبوة والخلافة الراشدة، فاستعرض منهاجية التعامل مع النص القرآني والحديث النبوي وأبرزها التعارض والترجيح مثل آية السيف في مقابل آيات السلم، ثم التعامل مع السنة النبوية القولية والفعلية، وضوابط التعامل مع خبرة الخلافة الراشدة.

ظهور دار الحرب وزوالها:

كان عنوان محاضرة د. رضوان السيد (لبنان) في الأمسية الأولى هو «ظهور دار الإسلام وزوالها: دراسة فى الاجتهاد السياسي والفقهي» حيث حاول أن يتتبع ويرصد في كتابات القرنين الأول والثاني الهجري رؤية الفقهاء والعلماء للآخر، مؤكدًا أن تقسيم «دار الحرب ودار السلم» التقليدي لم يكن مسلمًا به لدى جمهور الفقهاء حتى أواخر القرن الثاني الهجري، بل كان هناك مجموعة من الفقهاء المكيين والمدنيين ما كانت ترى فرضية الجهاد بل كانت تقدم عليه العبادة، ثم بدأ ظهور اتجاهات تؤيد الحرب الهجومية، وفي اقتراب هو أقرب لعلم اجتماع المعرفة (الفقه) يحاول د. رضوان السيد أن يفسر لماذا برزت هذه التيارات في ظل ظروف سياسية وعسكرية معينة، ويمر بشكل إجمالي على القرون المختلفة قوة وضعفًا للدولة (الدول) الإسلامية وحتى سقوط الخلافة، وبروز اشكاليات العلاقة مع الغرب في ظل ضعف المسلمين، وهي محاضرة أثارت جدلاً واسعًا بين الحضور ولقيت تعليقات قوية ورصينة ونقدية من الباحثين.

التاريخ الإسلامي:

في اليوم الثاني انتقل النقاش إلى التاريخ الإسلامي، فقدمت د. نادية مصطفى ورقة في أولى جلساته حول «مدخل منهاجي لدراسة التطور في وضع ودور العالم الإسلامي في النظام الدولي» وخبرة التعامل مع التاريخ الإسلامي باقتراب سياسي لا يغرق في

الأحداث وقضايا «التأريخ» بل يسعى لرصد أنماط العلاقات بين «دول الإسلام» داخل الفضاء الإسلامي، ثم بين دار الإسلام ودار الحرب، وأثر علاقات الفواعل الدولية الأخرى على علاقتها بدار الإسلام.

وتناولت الأوراق التي لخصت ٦ أجزاء كاملة العلاقات الدولية في العصور الإسلامية المتتالية، سواء الخارجية أو بين الممالك والدول الإسلامية، فقدمت د. علا أبو زيد خبرة العصر الأموي: «من استئناف الفتوح بعد الراشدين وحتى بلوغ الفتح أقصاه»، وكذا ورقة حول «الدولة العباسية: من التخلي عن سياسة الفتح حتى السقوط».

وقدمت د. نادية مصطفى دراستها حول خبرة العصر المملوكي: «من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوربية الثانية»، وبعدها خبرة العصر العثماني: «من القوة والهيمنة إلى المسألة الشرقية».

وفي الجلسة الأخيرة لليوم الثاني تناولت د. ودودة بدران «وضع الدولة الإسلامية في النظام الدولي في أعقاب سقوط الخلافة»، ثم استعرضت في الختام «خلاصة دراسة التطور في وضع ودور العالم الإسلامي في النظام الدولي»، وهي كلها دراسات تاريخية تمت باقتراب التاريخ السياسي والتحليل السياسي بما أكسبها بُعدًا جديدًا يسعى للتجريد واستكشاف أنماط التفاعل واستخلاصها وتحليلها عبر الفترات الزمنية المختلفة والمقارنة بينها.

وفي المساء كانت محاضرة اليوم الثاني للدكتور وجيه كوثراني أستاذ التاريخ الحديث بالجامعة اللبنانية الذي اختار لها عنوان: «مسألة الخلافة في الصراع الدولي في مطلع القرن العشرين»، ورصد من خلال الوثائق الفرنسية التاريخية لوزارة المستعمرات الفرنسية، وكذا وثائق وزارة الخارجية البريطانية كيف سعت الدولتين لاستغلال فكرة الخلافة كفكرة محورية في الفكر والثقافة السياسية للمسلمين في تحقيق أغراضهما الاستعمارية بالسعي لاسقاط الخلافة الإسلامية في الأناضول وتأسيس خلافة موالية لا تعارض سياستهما في مناطق مختلفة أخرى ورشح لهذا الدور مصر والحجاز وحتى الهند، وبيّن كيف فشلت هذه المساعي، وكيف توازي هذا مع مراجعة فكرة الخلافة وتصورها وبروزها

في الفكر الإصلاحي والإحيائي الإسلامي الحديث في النصف الأول من القرن.

الدولة – السلم – الحرب:

في اليوم الثالث قدم د. مصطفى منجود ورقته حول «الدولة» كوحدة للتعامل الخارجي في الإسلام، حيث بين اهتمام الباحثين في فروع السياسة والتاريخ والفلسفة والشريعة بالدولة كفاعل وكيان، وأن هذا الاهتمام المشترك مرده أن الدولة هي التنظيم السياسي الأسمى في المجتمع السياسي والمعبر عن مصالحه وأهدافه والضابط لعلاقاته وتفاعلاته داخليًا وخارجيًا، بل يتشارك في دراستها كل أفرع العلوم السياسية من نظم وفكر ونظرية وعلاقات دولية وقانون دولي، وقد سعى في ورقته لتأصيل مفهوم الدولة ودورها في صدر الإسلام في عصري النبوة والخلافة من نواحي عدة أبرزها: دلالات المفهوم، علاقته بمفاهيم الأمة والاستخلاف والشهادة، وتطور الحركة السياسية الخارجية للدولة الإسلامية بل والفعل السياسي والعلاقة الخارجية في مرحلة ما قبل تأسيس الدولة تهيئة لهذا التأسيس وتوجهًا إليه، وقضايا الشرعية وحدود السلطة في ممارسة الدولة لمهامها الخارجية، وفي الجلسة الثانية قدم د. عبد الونيس شتا ورقة حول: الأصول العامة للعلاقات الدولية في الإسلام وقت السلم في حين كان موضوع ورقة د. عبد العزيز صقر في الجلسة الثالثة هو الوجه الآخر للصورة وهو أصول هذه العلاقات وقت الحرب والقتال.

وفي الجلسة الأخيرة قدم د. سيف الدين عبد الفتاح تقريرًا بأبرز توجهات النقاش في المؤتمر وتلخيصًا جامعًا لأهم القضايا التي أثيرت.

التقويم والنقد:

شهدت الحلقة النقاشية التي عقدت بعد نهاية عروض الأبحاث ومناقشتها وتقويمها اختلافًا في وجهات النظر بشأن المشروع وأجزاؤه المختلفة، وشارك فيها أ.د. رضوان السيد، والأستاذ/ السيد ياسين من مركز الدراسات الاستراتيجية بمؤسسة الأهرام، والأستاذ الدكتور/ علي الدين هلال عميد كلية الاقتصاد – جامعة القاهرة، والأستاذ الدكتور / عبد الملك عودة الأستاذ المتفرغ بكلية الاقتصاد. وفي حين أثنى الدكتور رضوان السيد على الجهد البحثي ودعا إلى استكماله برؤية نقدية للتراث الفقهي

والسياسي ومحاولة البناء عليه في اجتهاد علمي معاصر بشأن قضايا شائكة في العلاقات الدولية للدول الاسلامية، أكد د. عبد الملك عودة على أهمية تشجيع الباحثين على التصدي لمثل هذا الجهد الموسوعي واستكمال نواقصه وتعميق وإثراء جوانبه بدراسات تراكمية أخرى، كما دعا د. علي الدين هلال إلى تواصل جهود الباحثين الإسلاميين مع المجتمع الأكاديمي الأوسع والانفتاح على التيارات الفكرية والنظرية المتنوعة والسعي إلى المشاركة في التغيرات النوعية التي تشهدها العلوم الاجتماعية في الاقتراحات والمناهج وجاء النقد (النقض) الحاد في الحلقة النقاشية من الأستاذ السيد ياسين الذي هاجم المشروع ورأى أنه «هروب من المنهاجية إلى التاريخ»، وأن الجهد لم يثمر أي نتائج جديدة تقدم «نظرية» للعلاقات الدولية، ناهيك عن احتواءه على نظرة أصولية تعود لآراء واجتهادات فقهية تاريخية رأى أنها مخجلة ولا يجب ذكرها، خاصة تلك المرتبطة بالموقف من غير المسلمين.

وقد ردت د. نادية مصطفى في كلمة موجزة علي النقد الحاد مؤكدة أن المشروع لم يحبس نفسه في التاريخ بل حرص في مراحله وأجزائه المختلفة على الضوابط المنهاجية، وتأصيل رؤية نظرية، وتجريد أنماط تاريخية، وأنه وظف الأصول الشرعية والاجتهادات الفقهية ولم يقف عندها أو يحبس نفسه فيها، وأنه تجاوز الجهود المبكرة لما كان يطلق عليه «إسلامية المعرفة» بشكل بعيد ويسعى للمساهمة في مسار علم العلاقات الدولية الأوسع والتواصل مع المدارس المختلفة فيه.

كذلك أكدت على أن المجموعة البحثية لديها تفكير ممتد بشأن المشروع، فما زال جزء الفكر يتم تطويره نحو صياغة نهائية، وقام الفريق البحثي على تطوير خطة بحثية بعيدة المدى مفتوحة ليقدمها للجماعة الأكاديمية لتمثل نسقًا قابلاً للتعميق والتراكم والإسهام المستمر، فضلاً عن الحرص على تبسيط الأجزاء المختلفة للمشروع وإعادة صياغتها لتصلح للتدريس في الجامعات.

العولمة:

وقد اختتمت أعمال الندوة بمحاضرة للدكتور / علي مزروعي أستاذ الدراسات الأفريقية والعرقية في جامعة كورنيل - جامعة بنهامتون، والأستاذ

بجامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية التي شاركت في تنظيم الندوة، وتحدث في محاضرته حول العولمة وما تعنيه من توجهات متنازعة للتوحيد والتفتيت في آن واحد، وخطورة الهيمنة الثقافية في ظلها لقوة ثقافية واحدة، وأكد على أهمية دور الإسلام في هذا العالم الجديد والحاجة لتقديمه في شتى المجالات كدعوة للعالمين نموذجًا للحياة وقيمًا صالحة حتى لمن لا يعتنقون الإسلام، وأن المشروع البحثي الذي تمت مناقشته على مدار أيام ثلاث هو خطوة في المجال الأكاديمي على هذا السبيل.

